وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

التمهيد

- العدول لغةً واصطلاحاً
- الأَصل والقياس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

التمهيد

. العدول لغةً واصطلاحاً :

للجذر (ع . د . ل) دلالتان ترجع إحداهما إلى الأخرى ، وإحدى هاتين الدلالتين العَدْل بمعنى الاستواء أو المساواة . وهذا المعنى متأتٍ من معادلة الحِمْل على الدابة بأن يُجعل طرفاه على استواء واحد ، ويقال لكل طرف عِدْل ، ولا يتأتى هذا المعنى إلاّ بالتحريك والإمالة ،ومن هنا جاءت الدلالة الثانية وهي العدول بمعنى الميل . قال الخليل (ت 175 هـ) : " والعِدْلان : الحِمْلان على الدابّة من جانبين ، وجمعُه أعدال ، عُدِل أحدهما بالآخر في الاستواء كي لا يرجح أحدهما بصاحبه ، والعَدْل أن تَعْدِل الشيءَ عن وجهه فتميله ، وعدلتُه عن كذا ، وعدلتُ أنا عن الطريق ، والعِدْلُ أحد حِمْلَي الجمل ، لا يقال إلاّ للحِمْل ؛ وسُمّي عِدْلاً لأَنّهُ يُسوّى بالآخر بالكيل والوزن " [1] . ويُلحظ أنّ دلالة العَدْل متأتيةٌ من العدول ذلك أنّ الأصل في اشتقاق العَدْل آتٍ من معادلة الأعدال على الدابة من جانبين ، أي أَنْ تَعْدِلَ العِدْل عن جهته فتُميله ، حتى يُعادل العِدْل الآخر من الجهة الأخرى حتى يتساويا بالكيل والوزن،كي لا يرجح أحدهما بصاحبه، قال الأزهري (ت 370هـ) : " العِدْلُ : اسم حِمْل معدول بحِمْل ، أي مُسَوّى به" [2] .

ودلالة العدول على الميل متأتيةٌ من معادلة الأحمال ، إذ لابُدّ من إمالتها عند تسوية بعضها ببعض ، ومن هنا أَشكل على ابن فارس (ت 395 هـ) فجعل للجذر (ع . د . ل) " اصلين صحيحين ، لكنهما متقابلان كالمتضادين ، أحدهما يدلّ على استواء والآخر يدلّ على اعوجاج" [3] ، وهو في الحقيقة أَصل واحد وهو الميل ، قال ذو الرّمة [4] :

وإنّي لأُنْحي الطَرْفَ من نَحْوِ غيرها حِياءً ولو طاوعتُهُ لم يُعَادلِ

أي : لو طاوعتهُ بأن لا أُنحيه عنها لَمالَ إليها ، فالمعادلة هنا الميل ، ولكنه ميلٌ وليس جَوْراً . ومعنى العدول يتحدد على وفق تعدية الفعل بالحرف ، قال ابن القطاع

(1) كتاب العين : 2 / 38 . 39 .
(2) تهذيب اللغة : 2 / 209 .
(3) مقاييس اللغة : 4 / 246 .
(4) ديوان ذي الرمة : ص 493 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

(ت 515 هـ) : " عَدَل في حكمه عَدْلاً ، والشيءِ بالشيءِ ساواه به ، والكافرُ بالله أشرك ، وعن الشيء والطريق عدولاً مال " [1] . فدلالة الميل والخروج جاءت من تقييد الفعل بالحرف (عن) ، ثم إنّ مجيء العَدْل بمعنى المساواة ، مشتق في الأَصل من العِدْل، وذلك برابط المساواة والتساوي ، فالعِدلُ لا يُقال له عِدْلٌ إلاّ بعد أن يُعْدل بغيره، فانتفاء الميل عن الشيء يكون عَدْلاً ؛ ولذا قيل هذا : " فَرَسٌ معتدل الغُرّةِ إذا توسطتْ غُرَّتُه جبهتَهُ فلم تُصِبْ واحدة من العينين ، ولم تملْ على واحدٍ من الخدّين " [2] فكلُّ ما لُحظ فيه معنى التوسط والمساواة هو عَدْلٌ ، أي : نقيض الجَوْر [3] . " وهو ما قام في النفوس أنّه مستقيمٌ " [4] ، وقيل هو : " الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط " [5] .

وممّا تقدم تبيّن أنْ العدول ليس ميلاً وخروجاً عن حدّ التوسط والمساواة ، إنّما هو ميل وخروج إليهما ، بمعنى أنه يتضمن دلالة الميل المنضبط المقصود ، لا دلالة الخروج الشاذّ الذي هو بمعنى الجور .

وللتدليل على كون مصطلح (العدول) مصطلحاً فكرياً يعبّر عن مدلوله بدقة ، ويرتسم فيه محتواه على نحوٍ أصيل ينبغي الإشارة إلى أنه مشتقٌ من قول العرب (عدل عن الطريق) ، أي خرج عنه أو مال عنه إلى غيره ، إذ هو خروج مقصود ؛ إذ إنّ المعنى السالب للخروج عن الطريق هو (جار عن الطريق) ، هذا فضلاً عن كون العدول عن الشيء يستوجب العدول إلى شيء آخر ، إذ هو ليس بمعنى جار أو شذّ أو شيء من هذا القبيل ،ومن هنا يمكن القول إنّ هذه الدلالة هي الجديرة بأن تكون دالة على معنى العدول .

أي لابد أن يكون في العدول طرفان طرفٌ معدولٌ عنه هو الأصل أو القياس ، وطرفٌ معدولٌ إليه هو الفرع أو خلاف القياس،ولذا عرّفه السجلماسي(مُتَوَفّى في القرن

(1) كتاب الأفعال : 2 / 363 .
(2) لسان العرب ، ابن منظور : 11 / 434 .
(3) ينظر : جمهرة اللغة ، ابن دريد : 2 / 28 ، وتاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : 5 / 1760 .
(4) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : 4 / 13 .
(5) تاج العروس ، الزبيدي : 8 / 9 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثامن للهجرة) بقوله: " اسم محمول يشابه به شيءٌ شيئاً في جوهره المشترك لهما" [1]. فالمشابهة بين شيئين في الجوهر المشترك لهما تتطلب أن يكون أحدُ هذين الشيئين أصلاً والآخر فرعاً ، وهو في اللغة كذلك ؛ لأن العدول عن طريق يعني الدخول في طريق آخر .

ويتحقق مصطلح العدول في المستوى الصرفي للغة على وجهين :

أولهما : العدول عن الأصل ، ويتحقق ذلك في الصيغة المفردة ذاتها ، إذ هناك من المفردات ما تحتمل معنى صيغة أخرى ، أو تأتي على لفظ صيغ أُخر وهي بمعناها ، وقد توضّح هذا الوجه في المصادر والمشتقات نحو : اسمي الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة ، وصيغ المبالغة ، وقد أشار إلى ذلك علماء اللغة كما سيذكر لاحقاً إن شاء الله .

وثانيهما : العدول عن القياس،ويتحقق هذا النوع من العدول بين صيغتين الصيغة الثانية خلاف الصيغة الأولى ، حسب قانون القياس الصرفي ، وإنما هو في الحقيقة خروج عن القاعدة المطّردَة، ويكون ذلك في الأفعال ومصادرها، والمشتقات ، كما سيتضح في الصفحات القادمة بمشيئة الله .

وقد أشار اللغويّون القدماء إلى ظاهرة العدول الصرفي في مباحثهم عن الصيغ الصرفية ، مُعَبّرين عنها بمصطلحات مختلفة [2] ، ومن دون تفريق بين العدول عن أصل ، أو العدول عن قياس ، إلاّ أنّه من الاستقراء تبيّن أنَّهما نوعان محددان وإن لم يُشَر إليهما .

فلقد نال موضوع العدول اهتماماً واسعاً في مصنّفات علماء العربية ، وقد تواردت عليه مصطلحات مختلفة منها : المجاز ، والالتفات ، والعدول والانحراف ، والتصرف،

---

(1) المنزع البديع : ص 448 ، وينظر : ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة ، أطروحة دكتوراه تقدم بها عبد العزيز عبد الله محمد،إلى مجلس كلية الآداب،جامعة الموصل . 2000: ص26.

(2) ينظر : الكتاب ، سيبويه : 1 / 110 ، 3 / 568 ؛ ومعاني القرآن ، الفراء : 2 / 153 ؛ شرح القصائد السبع الطوال ، أبو بكر الأنباري : ص 375 . 376 ؛ إعراب ثلاثين في القرآن الكريم ، ابن خالويه : ص 8 ؛ شرح ابن سيبويه ، السيرافي : 1 / 11 ؛ التمام ، ابن جني : ص 72 ؛ البيان في غريب اعراب القرآن ، أبو البركات ابن الأنباري : 1 / 72 ؛ شرح المفصل ، ابن يعيش : 5 / 55 ؛ شرح الكافية ، الرضي الأستراباذي : 1 / 3 ؛ وشرح الشافية ، الرضي الأستراباذي : 1 / 176 ، 177 ؛ شرح بانت سعاد ، ابن هشام : ص 15 ؛ شرح التصريح على التوضيح ، خالد الأزهري : 2 / 80 ؛ وينظر : ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية ، د . محمود سليمان ياقوت : ص 7 . 9 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والنقل ، والخروج ، والتجاوز ، والاتساع ، والشجاعة ، والانتقال ، ومخالفة مقتضى الظاهر ، والانعطاف ، والتلون والتلوين [1] .

وهذه المصطلحات لا تنفك في الدلالة على مفهوم العدول ، ولكن باعتبارات متفاوتة ، إذ هو في اعتبار البلاغيين يخصّ المستوى التركيبي في اللغة ، وأطلقوا عليه المجاز والالتفات ، وذلك متأتٍ عندهم من اهتمامهم بتبيان اللمحات الفنية التي تضمّنها النصوص الإبداعية ، فضلاً عن اهتمامهم بالنظر إلى النص نظراً شمولياً لا يختصّ بمستوى دون مستوى آخر من مستويات اللغة ، في حين ظهرت مصطلحات العدل ، والاتساع ، والعدول ، والتصرف ، والانحراف ، والانتقال وغيرها لدى اللغويين ، نتيجة اهتمامهم بالمسائل اللغوية كما سنرى ذلك مفصلاً .

فأبو عبيدة (ت 210 هـ) يُسميه مجازاً ، قال : " ومن المجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى هذا الواحد على الجميع " [2] ، ثم يقول : " ومن مجاز المصدر الذي في موضع الأسم أو الصفة " (البَرّ والرَّتْق) [3] . ومعنى المجاز " يتسع ليشمل معناه في اللغة ، " فالمجاز مَفْعَل من جاز الشيء بجوزه إذا تعدّاه . وإذا عُدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضَع فيه أولاً " [4] . فيكون المجاز على هذا الأساس خروجاً عن أصل الوضع اللغوي ، ويشير ابن المعتز (ت 296هـ) إلى العدول في : " باب الالتفات : وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة ، وما يشبه ذلك من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر "

(1) ينظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة : 1 / 9 ؛ والبديع ، ابن المعتز : ص 58 . 59 ؛ والخصائص ، ابن جني : 1 / 214 . 215 ، 2 / 360 ، 3 / 188 . 267 ؛ والفروق في اللغة ، العسكري : ص 190 ؛ وإعجاز القرآن ، الباقلاني : ص 273 . 274 ؛ والمثل السائر، ابن الأثير : 1 / 193 ، 2 / 184 ؛ والإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني : ص 159 ؛ والتبيان ، الطيبي : 1 / 153 ، وكتاب الطراز ، العلوي : 2 / 132 ؛ ؛ ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء ، القرطاجني : ص 314 ؛ والبرهان في علوم القرآن ، الزركشي : 2 / 246 .

(2) مجاز القرآن : 1 / 9 . 10 .

(3) م . ن : 1 / 12 .

(4) أسرار البلاغة ، الجرجاني : ص 356 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

[1] . وقد توسع ابن جني (ت 392 هـ) في ذكر الألفاظ الدالة على العدول على نحو الانحراف [2] ، والعدول ، ونقض العادة ، وشجاعة العربية ، والاتساع وغيرها [3] .

ويستعمل أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) مصطلح العدول في كلامه على الفرق بين صيغتي (رحيم) و (رحمن) يقول : " فإن (الرحيم) مبالغة لعدوله ، وإن (الرحمن) أَشدُّ مبالغة لأنه أشدُّ عُدولاً " [4] . وعلى نحو ذلك قال أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ) إنَّ : (رحمان) عدل عن (راحم) للمبالغة " [5] .

وقد فصّل ضياء الدين ابن الأثير (ت 637 هـ) القول في الكلام عن العدول ، وإن كان يُسميه تارة بالعدول ، وتارة بالنقل والانتقال ، وذلك في الفصل الذي عقده بعنوان (قوة اللفظ لقوة المعنى) [6] ، والمهم أَنّ ابن الأثير أدرك أنَّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلاّ لنوع خصوصية اقتضت ذلك [7] . ومن هنا جاء إفراده لمبحث خاص بالعدول الصرفي سمّاه (اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها) [8] ، يقول فيه : " أما اختلاف صيغ الألفاظ فإنّها إذا نقلت من هيئة إلى هيئة كنقلها مثلاً من وزن من الأوزان إلى وزن آخر ، وإن كانت اللفظة واحدة ، أو لنقلها من صيغة الأسم إلى صيغة الفعل أو من صيغة الفعل إلى صيغة الأسم انتقل قبحها فصار حُسْناً ، وحُسْنها صار قبحاً " [9] . وسمّاه القرطاجني (ت 684 هـ) بـ (الانعطاف) [10]، وسمّاه الزركشي (794 هـ) بالتلوين ، أو خطاب التلوين [11] .

---

(1) كتاب البديع : ص 58 .
(2) ينظر : التمام : ص 72 .
(3) ينظر : الخصائص : 1 / 152 . 153 ، 3 / 267 . 268 ؛ وينظر : الاتساع في اللغة عند ابن جني ، أطروحة دكتوراه تقدم بها حسن سليمان حسين ، إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، 1995 : ص 51 .
(4) الفروق في اللغة : ص 190 .
(5) إعجاز القرآن : ص 273 . 274 .
(6) المثل السائر : 2 / 279 ؛ وينظر : الخصائص ، ابن جني : 3 / 264 .
(7) ينظر : م . ن : 2 / 279 .
(8) م . ن : 3 / 417 .
(9) م . ن : 1 / 417 . 418 .
(10) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص 314 .
(11) البرهان في علوم القرآن : 2 / 246 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وهذه كلها أنواع من العدول إلاّ أن العدول الصرفي يتمثل في اختلاف الهيئة ، والأوزان ، والانتقال في الصيغة بين الإسمية والفعلية ، أي أَنْ يأتي معنى اللفظ " خلاف مقتضى الظاهر " [1]، ومن ذلك مثلاً: " وصف الواحد بالجمع " [2] ، وبذلك يخرج الالتفات الذي : " هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول " [3] عن العدول الصرفي .

ومثلما تعددت الألفاظ الدالة على مصطلح العدول عند القدماء تعددت كذلك لدى المحدثين ولاسيما علماء الأسلوبية [4] ، وسبب تعدد المصطلحات لمفهوم العدول لدى المحدثين يختلف عن سبب تعدد مصطلحاته لدى اللغويين القدماء ، إذ إنّ مأتى تعدد المصطلحات لدى القدماء شمولية الدراسات اللغوية عندهم ، في حين أن تعددها لدى المحدثين متأتٍ في أحيان كثيرة من تأثر الدراسات الحديثة بالنظريات اللغوية الغربية ، فيكون مأتى تعددها عن طريق الترجمة ، وسبب ذلك انعدام المعاجم المتخصصة بوضع المصطلحات [5] .

وقد ترجم الدكتور عبد السلام المسدي للفظة (Ecart) بالانزياح أو التجاوز ، الذي يعني الخروج عن الأصل ، ثم قال مستدركاً : يمكن أن نُحيي لها لفظة عربية وهي (العدول) [6] . ويتعدد مفهوم العدول عند الأسلوبين من خلال مفهومي :

. الواقع اللغوي النفعي .

. والواقع اللغوي المكرَّس .

وقد عُبَّر عن الواقع الأول بعبارات : الأصل ، والإستعمال المألوف ، والوضع الحيادي ، والدرجة الصفر ، والسنن اللغوية ، والخطاب الساذج ، والعبارة البريئة .

---

(1) الإيضاح ، القزويني : ص 159 .

(2) التبيان ، الطيبي : 1 / 153 .

(3) كتاب الطراز ، العلوي : 2 / 132 .

(4) ينظر: الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي : 98؛ والبلاغة والأسلوبية، د . محمد عبد المطلب : ص 68 ؛ ومفهوم العدول في الدراسات الأسلوبية المعاصرة ، د .عبد الله صولة ، المجلة العربية للثقافة ، العدد (32) سنة 1997 : ص 146 .

(5) ينظر : مشاكل وضع المصطلحات اللغوية أو تقنيات الترجمة ، د . محمد رشاد حمزاوي ، مجلة اللسان العربي ، العدد (1) سنة 1980 : ص 76 .

(6) ينظر : الأسلوبية والأسلوب : ص 162 . 163 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وعُبَّر عن الواقع المكرَّس بعبارات : الانزياح ، والتجاوز ، والانحراف ، والاختلال ، والإطاحة ،والمخالفة ، والشناعة ، والانتهاك ، وخرق السنن ، والعصيان ، والتحريف [1] .

وسمي بكل هذه الأسماء لأنه خروج عن المعيار ، فيُعرَّف العدول عندئذٍ بأنّه الخروج عن النمط المعياري ، ولذا عُدَّ هذا الخروج أداة من أدوات التحليل الأسلوبي الذي يهتم بالموازنة بين الخصائص والسمات اللغوية في النص مُرتبطة بسياقاتها ، وبين ما يقابلها من خصائص وسمات في النص المفارق ، وهذه الموازنة مبنية على أساس إحصائي[2] . فالعدول يتمثل في مستوى اللغة الإبداعي الذي يعتمد على اختراق مثالية اللغة في الأداء العادي وانتهاكها [3] . " ومعنى ذلك أن للغة مستويين : عادياً ومنحرفاً ، أما المستوى العادي فهو ما أرتضاه علماء النحو والتصريف وما أقرّ به اللغويون ، وأما المستوى المنحرف فهو ما يجور على النظام اللغوي المألوف ويخل بأنساق اللغة وأُطرها " [4] .

ولعل أبرز تعريفات الأسلوبين وعلماء اللسانيات للعدول القول بأنه : " الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية "[5] أي هو الخروج عن المستوى النمطي إلى المستوى الفني، فالمستوى النمطي يمثل النظام أو الأصل اللغوي [6] ، ثُمَّ عُبّر عنه بأنه انحراف عن قاعدة ما [7] ، أو بأنّه انحرافٌ عن المعيار الموجود في اللغة ، أو بأنه : " خروج عن القاعدة اللغوية " أو بأنه : " شكل منحرف عن المعيار " [8] . بقي أن يقال : أن هذا الخروج ينبغي أن ينضبط بضوابط معينة ، وعلى وفق مسوغات مقبولة ، والعدول بتعريف أحد المحدثين : " هو استخدام غير عاديّ للغة بما يُسوِّغ الخروج عن الأصل المعياريّ المتواضع عليه في مستويات اللغة الصوتية والمعجمية والدلالية والتركيبية والإيقاعية ؛

(1) ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، د . عبد السلام المسدي : ص 98 . 99 .
(2) ينظر : الأسلوب دراسة لغوية احصائية ، د . سعد مصلوح : ص 9 .
(3) ينظر : البلاغة والأسلوبية ، د . محمد عبد المطلب : ص 198 .
(4) الأسلوب والأسلوبية ، د . فتح الله أحمد سليمان : ص 20 .
(5) البلاغة والأسلوبية ، د . محمد عبد المطلب : ص 7 ، 248 .
(6) ينظر : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، د . عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي : ص 141 .
(7) ينظر : علم الأسلوب ، د . صلاح فضل : ص 179 .
(8) علم اللغة ، برند شبلنر : ص 61 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

لأغراض فنية يقتضيها سياق الخطاب وحال المنشئ والمتلقي " [1] . إذاً فهو خروج منضبط مُسوّغٌ عن أصل معياريّ ، ولكي نحدد العدول في اللغة ينبغي أولاً أن نحدد الضوابط المعيارية في مستويات اللغة ، وبمعرفة هذه الضوابط يمكن التعرف على مسوّغات الخروج عن تلك الضوابط ، سواء أكانت صوتية ، أم صرفية ، أم نحوية ، أم دلالية ، والشيء المهم هنا هو تحديد الضوابط المعيارية في المستوى الصرفي للغة وهو ذلك المستوى الذي يتناول الكلمة المفردة وما يطرأ عليها من تغيير خارج السياق ، وما لهذا التغيير من تأثير داخل السياق ، والكلمة المفردة تشمل الأسماء المعربة ، والأفعال المتصرفة ، التي هي موضوعة علم الصرف ، وهو " علم بأصول يعرف بها أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء " [2] . فهي الكلمات التي تكون عرضةً للتغيير ، وعلى هذا الأساس فإن العدول الصرفي يتحدد بكل خروج مسوَّغ عن معيار محدد في الأفعال ، والمصادر ، والمشتقات في ما يخصّ تحديداً اختلاف الصيغ ذوات المعاني،على أن يكون هذا الخروج لنكته دلالية مقصودة ، أو للمسة فنية مقبولة ، وهذا لن يتأتى إلاّ بعد وضع الضوابط المعيارية لجميع الصيغ سواء أكانت أفعالاً ، أم مصادر ، أم مشتقات ، وبعد وضع هذه الضوابط يتبيّن بلا أدنى ريب مسوّغات ذلك العدول من صيغة إلى أخرى ، كما يمكن تبيُّن الدلالات المقصودة ، واللمسات الفنية التي اكتنفت النص ، ومن هذه الضوابط الأصل اللغوي الذي وضعت له الصيغة ، أو القياس أو القاعدة المطّردة التي شاعت وكثُر استعمالها حتى أصبحت معياراً ، فما خرج عن المعيار يُعد عدولاً عنه .

(1) ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة ، اطروحة دكتوراه تقدم بها عبد العزيز عبد الله : ص 37 .

(2) شرح الشافية ، الرضي الأستراباذي : 1 / 1 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

. الأصل والقياس :

وردت اشارات واضحة عند اللغويين للتعبير عن الأصل والقياس في مواطن مبثوثة في كتبهم،ومن خلالها تبيّن تفريقهم بين ما هو أصل، وبين ما هو قياس : " ومن ذلك (فعّال) تقول : رجلٌ قتّال إذا كان كثير القتل ، فأما قاتل فيكون للقليل والكثير ؛ لأنه أصل " [1] . ومن ذلك أيضاً جعل مفردات اللغة أصولاً وفروعاً من حيث دلالتها على الجنس وعلى العدد ، على نحو جعل المذكر هو الأصل والمؤنث فرعاً له ، وكذلك جعل المفرد أصلاً والمثنى والجمع فرعين له [2] .

وعلى هذا الأساس وُصِفَ المذكر والمؤنث بالمصدر من دون أن تلحقه علامة التأنيث حين وصف المؤنث بالمصدر فيقال : رَجُلٌ عَدْلٌ ، وامرأةٌ عَدْلٌ ، وذلك لأن الأصل لقوته احمل للمعنى من الفرع لضعفه والأصول لقوتها يتصرف فيها ، والفروع لضعفها يتوقف بها ، ويقصر عن بعض ما تُسوّغه القوة لأصولها [3] . أي إنَّ الأصل في المصدر أنه مذكر،ولما كان التأنيث فرعاً عن الأصل لم تلحق علامة التأنيث حينما صار وصفاً لمؤنث،ومن هنا قيل : "إنّما يُعدل عن الأصل إلى الفرع لسبب اقتضاه" [4] ، وهو معنى جديد فيه ما في الأصل وزيادة ؛ إذ إنه فرعٌ من أصل . وعندما يُقال في شيءٍ انّه هو الأصل أو هو الأول فليس المقصود أنه الأسبق في الاستعمال ، إنما المقصود ما كان أوقر في النفس ، ومقدماً في الإحساس على غيره ، " فمختلف ظواهر اللغة تنتظمها

(1) المقتضب : 2 / 113 ؛ وشرح المفصل ، ابن يعيش : 6 / 13 .
(2) ينظر : القياس في النحو ، د . منى إلياس : ص 34 .
(3) ينظر : الخصائص : 1 / 201 .
(4) المثل السائر ، ابن الأثير : 2 / 77 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

خطوط خفية ، وهذه الخطوط الكبرى التي تتشعب عنها الخطوط التي دونها هي التي جعلها أصولاً ، وجعل الباقي فروعاً " [1] .

وقد ذكر العدول عن القياس في بعض مباحث اللغويين ، ومن ذلك ما ذُكِرَ من تحديد أسماء مطّردة ، أي : مقيسة وهي : المصادر ، واسما الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، واسما الزمان والمكان ، واسم الآلة ، وقسم لا يَطّرد وهي : الأسماء المتصلة بالأفعال من جهة الاشتقاق ، كالقُربة من القرب ، إذ لا يقال : لكل ما يُقرّب قربة بل اختصت ببعض المسمين [2] .

ثُمَّ يُعَبّرعن العدول عن القياس صريحاً في باب النسب فالألفاظ مثل : بدويّ ، وطائيّ ، وبِصريٌّ ، ألفاظ معدولة عن القياس ، إذ القياس في (بدويّ) : بادي أو بادوي نسبةً إلى البادية، وفي (طائيّ) : طيئيّ نسبةً إلى (طيء) ، وفي (بِصريّ): بَصْريّ نسبةً إلى بَصرة [3] .

ويقول السيوطيّ : " إنّ الشيء إذا اطّرد في الاستعمال ، وشذّ عن القياس فلا بُدّ من اتّباع السمع الوارد به فيه نفسه ، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره " [4] . فيظهر أنّ السبب في جعل الشيء قاعدةً ومعياراً يقاس عليه هو الاطّراد وكثرة الاستعمال ،وأنّ ما يشذّ عن هذه القاعدة وهي : (الاطراد في الاستعمال) يؤخذ به بناءً على ما ورد السماع به ، ولكنه لا يقاس عليه ، ولكنه يبقى خلاف القياس وعدولاً عنه، وينبغي حينئذٍ البحث عن السبب الذي اقتضى هذا الخروج أو هذا العدول ، أهو معنى جديد ، أم مجرد عدول لأسباب خارجية على نحو النسبة في بدويّ ، إذ هو عدولٌ عن القياس ، ولكن ليس لمعنى جديد .

والأصلُ والقياسُ فكرتان متداخلتان ؛ إذ لا يمكن معرفة الأقيسة من دون معرفة الأُصول ،إذ القياس: " حَمْل فرعٍ على أصل بعلّة،وإجراء حكم الأصل على الفرع " [5]، فلا قياس من غير معرفة الأَصل الذي هو: " المعنى الأول الذي تؤول إليه كل صورة ، وهو الحكم الذي يستحقه الشيء بذاته " [6] . فبمعرفة الأَصل في كل شيء يمكن عند ذلك تبيُّن

(1) القياس في النحو ، د . منى إلياس : ص 35 .
(2) ينظر : شرح المفصل ، ابن يعيش : 6 / 43 .
(3) ينظر: شرح المفصل : 6 / 10 .
(4) المزهر : 1 / 229 .
(5) لُمع الأدلة في أصول النحو ، ابن الأنباري : ص 93 ؛ وينظر : فقه اللغة العربية ، د . كَاصد ياسر الزيدي : ص 273 .
(6) القياس في النحو ، منى إلياس : ص 32 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الفرع ، وتبيّن القياس ، ثم من خلال تبيّن القياس بناءً على الاطّراد والكثرة ، يتبيّن ما هو خلاف القياس .

ولمّا كان كلّ من الأصل والقياس يتواردان في مباحث كثيرة في اللغة وجب تحديد المقصود بهما في المستوى الصرفي في اللغة ، فحينئذٍ ينبغي أن يُقال : الأصل الصرفي ، والقياس الصرفي ، كما ينبغي التعريف بهما ، فالأَصل الصرفي : هو المعنى الأول الذي تحمله الصيغة الصرفية ، على نحو كون صيغة اسم الفاعل الدالّة على من قام بالفعل أصل صيغ المبالغة فتكون صيغ المبالغة معدولة عن اسم الفاعل .

والقياس الصرفي : هو المعيار المُطَّرد الذي تنضبط به الصيغ الصرفية ، من مثل القانون الذي يخضع له اشتقاق المصدر من الأفعال .

This file was downloaded from QuranicThought.com